هل تسمح واشنطن بتعاون أمني سوري ـ عراقي؟

■ حميدي العبدالله

منذ أن أعلن عن لقاء ثلاثي يضمّ وزراء داخلية سورية والعراق وإيران لبحث التعاون الأمني، ولا سيما على صعيد مكافحة الإرهاب بين الدول الثلاث، تنبّأ كثيرون بأن لا يسفر الاجتماع عن أيّ نتيجة عملية، لأنّ الولايات المتحدة والدول الحليفة لها تعارض قيام مثل هذا التعاون بين الدول الثلاث، أولاً لأنّ التعاون يكرّس هذه الدول كمحور، وينقل العراق إلى محور المقاومة، وثانياً، لأنّ الدول الغربية وحكومات المنطقة لا تريد فعلاً القضاء على «داعش»، لأنها تعتمد عليها في إعادة نفوذها إلى العراق.

وفعلاً ما أن أعلن عن الاجتماع حتى تعالت الأصوات داخل العراق التي تهاجم هذا اللقاء من قبل الجماعات الأكثر ارتباطاً بدول المنطقة، وعلى رأس هذه الأصوات التي تعالت كتلة أسامة النجيفي الذي كان له دور كبير في تسليم محافظة نينوى لتنظيم «داعش» من دون أيّ مقاومة.

لكن ثمة توقعات أخرى تشير إلى توافر مجموعة من العوامل تخلق توازنات تدفع الولايات المتحدة، للموافقة، أو على الأقل غض النظر، عن هذا التعاون الجديد، وأبرز هذه العوامل:

أولاً، التوازن الجديد داخل العراق، بعد دخول «داعش» إلى مدينة الرمادي، فقد أدّت سيطرة «داعش» على الأنبار بعد سيطرتها على نينوى، وتحرير محافظات صلاح الدين وديالي على أيدي قوات الحشد الشعبي إلى تراجع نفوذ الجماعات السياسية المرتبطة بالولايات المتحدة ودول الخليج، نظراً إلى فشل هذه الجماعات في الدفاع عن سكان المناطق التي تعتبر نفسها ممثلة لها في وجه تنظيم «داعش». بمعنى آخر أنّ اعتراض هذه الجماعات على التعاون الأمني السوري – العراقي – الإيراني لا يحظى بدعم شعبي في المحافظات التي يشكل السنة غالبيتها المطلقة، بل إنّ سكان هذه المحافظات يبحثون عن مخلصهم من تنظيم «داعش» وسيطرته الوحشية.

ثانياً، تعاظم خطر «داعش» والإرهاب وعجز الاستراتيجية الأميركية الحالية عن وقف تمدّده، وانتقال هجماته إلى الدول الخليجية وإلى داخل أوروبا، وبالتالي أصبح احتواء هذا الخطر يمثل أولوية على غيرها لدى الولايات المتحدة، وبالتالي لدى الدول التي تدور في فلكها في المنطقة.

ثالثاً، عدم اعتراض الولايات المتحدة من حيث المبدأ على مثل هذا التعاون وخصوصاً بعد التطورات الأخيرة، ومعروف أنّ الولايات المتحدة عندما شكلت التحالف الدولي ضدّ «داعش» وشنت هجمات ضدّه في سورية حرصت على دفع الحكومة العراقية إلى التنسيق مع الدولة السورية نيابة عن التنسيق المباشر بين واشنطن ودمشق، وقد نقل عن مصادر في الحكومة العراقية تأكيدها «وجود ترحيب أميركي بعقد المؤتمر الثلاثي، من دون وجود أيّ معارضة أو رفض من قبلها، بعدما أجريت اتصالات بين الإدارة الأميركية ومسؤولين عراقيين» فقد تكون هذه قناة خلفية توفر على الولايات المتحدة حرج التنسيق المباشر مع الحكومة السورية لمكافحة «داعش».

رابعاً، اقتراب موعد توقيع الاتفاق النووي بين إيران ودول الـ(5+1)، إذ أنّ توقيع هذا الاتفاق من شأنه أن ينقل مسار العلاقات الأميركية – الإيرانية والعلاقات بين منظومة المقاومة والممانعة إلى مسار جديد أقلّ تصادماً وعداءً مما كان عليه الحال منذ انتصار الثورة الإيرانية وسقوط نظام الشاه، وهذا من شأنه نقل العلاقات على مستوى إقليمي من المواجهة إلى المنافسة، وهذا قد يؤدّي إلى عدم اعتراض وجود مستوى من التنسيق الأمني لجبه تحدي «داعش» على الأقلّ.

هذه العوامل مجتمعة قد لا تدفع الولايات المتحدة إلى تعطيل النتائج والتوصيات والسياسات التي يمكن الاتفاق عليها بين الدول الثلاث.

قمة أوفا إعادة ثنائية القطب ببطولة جماعية متكاملة

■ سعد الله الخليل

من مدينة أوفا عاصمة جمهورية بشكورتوستان الروسية تستكمل موسكو رسم خطوط سياستها العالمية وتتقدّم بهدوء لحجز مكانها الطبيعي على مسرح الأحداث الدائرة بعيداً عن الضجيج والجلبة التي تركت مهمة إثارتها لمنافسيها الذين فشلوا في جرّ المارد الروسي إلى زواريب السياسة والأمن، ومحاولة تعويمه بعلاقات مارقة تلبّي مصالح سياسة آنية ومكاسب تكتيكية لا تؤثر في مسار السياسة العالمية، ولا تحفر في عمق التاريخ السياسي، فيما نجحت واشنطن في جرّ دول أوروبا إلى هكذا نهج أفقد هذه الدول تاريخها السياسي العريق وحوّلها إلى تابع للأميركي.

جمعت روسيا وللمرة الأولى في تاريخ «منظمة شنغهاي للتعاون» ودول مجموعة «بريكس» التجمّعين في قمة واحدة لا بقصد الاستعراض بجمع أكبر عدد من قادة الدول في قاعة واحدة، أو كسب فرصة الرئاسة الروسية للمجموعتين بضرب عصفورين بحجر واحد وسلق القمم على طريقة جامعة الدول العربية أو الأمم المتحدة التي قلما تأتي بقرارات تحدث انقلابات وتغيّرات في مسار الأحداث السياسية، إنما جمعت روسيا عوامل القوى الكبرى في السياسة والاقتصاد والأمن ثالوث العلاقات الدولية والقواعد الأساسية لبنيان الدول، فـ«منظمة شنغهاي للتعاون» التي أنشئت بهدف مكافحة الشرور الثلاثة الإرهاب والتطرف والنزعة الانفصالية ورغم ما شهده تطور المنظمة وأهدافها من نقلات نوعية بدأت بحلّ الخلافات الحدودية بين الصين وجمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق المحاذية لها، إلى توقيع معاهدة خفض القوات العسكرية في المناطق الحدودية وبناء الثقة العسكرية ولعلّ السياسات العالمية جعلت أحد أهمّ أهداف تكتل شنغهاي إيجاد موازن للقوة الأميركية وتجنّب النزاعات التي تسمح لواشنطن بالتدخل في مناطق قريبة من حدود الصين وروسيا، وكردّ مباشر على تهديد القواعد العسكرية الأميركية في المنطقة ومشاريع أنظمة الدفاع الصاروخي الأميركي ومشروع حرب النجوم في أوروبا، ومن هنا تأتي أهمية القمة الحالية في التنسيق لمواجهة مشاريع واشنطن الأمنية في منطقة الشرق الأوسط، والتي وإنْ بدت بعيدة عن حدود دول المنظمة إنما تداعياتها ترتدّ عليها مباشرة، عدا عمّا شهدته القمة من إطلاق حوار هندي ـ باكستاني يفتح الباب أمام مصالحة بين قوتين أمنيتين وازنتين قبل انضمامهما إلى المجموعة، وهو ما ستنعكس نتائجه في المطلق على المنظمة ككلّ، وبما أنّ عين الاقتصاد لا تغيب عن عالم الأمن فإنّ التشبيك مع مجموعة «بريكس» والتي تشهد أسرع نمو اقتصادي في العالم يتمثل بالبرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب أفريقيا يمنح هذا التحالف بعداً اقتصادياً ستظهر نتائجه بقوننة هكذا تحالفات عبر بنك التنمية الجديد وإطلاق صندوق الاحتياطات النقدية برأسمال 100 مليار دولار لكلّ منهما، بما يمكن الدول المتحالفة من إطلاق تنمية اقتصادية وبشرية حقيقية في مواجهة سيطرة واشنطن ودول الغرب على سياسات البنك الدولي ومشاريعه الإغراقية للدول المدينة كمقدمة للسيطرة على قراراتها السياسية... ولبنان واليونان يمثلان نموذجين صارخين لنتائج تلك السياسات.

بين السياسة والأمن والاقتصاد تكتب موسكو سياسات مواجهة تحديات العقود المقبلة وتنسج تحالفات تعيد ثنائية القطب العالمية الجديدة والتي تصرّ موسكو على تغليب البطولة الجماعية لدول لها وزنها العالمي، كلّ هذا وواشنطن تراقب ما يدور بقلق وحذر شديدين خروج مراكز القوة عن سيطرتها وبناء عالم تعدّدي جديد يمسك خصومها بمنظمة معاهدة شنغهاي التي تشكل ربع سكان الأرض، وقد تضمّ نصف البشرية مع دخول الهند وباكستان ومنغوليا، ومجموعة «بريكس» أكبر تجمع لنمور الاقتصاد العالمي المقبل، في الوقت الذي يواجه فيها حلفاؤها الأوربيؤن خطر انفراط عقدهم السياسي والاقتصادي والأمني.

من مدينة أوفا تطلق موسكو قاطرة النظام العالمي الجديد بتكامل ذكي بين الاقتصاد والسياسة والأمن، فهل من قادر على إيقافها؟

«توب نيوز»

حدث في لبنان

- في التوقيت الذي صارت فيه التسويات الكبرى على نار الإنضاج وبعضها على أهبة الإعلان.
- في التوقيت الذي يستعدّ العالم لحدث منتظر هو توقيع التفاهم بين الغرب وإيران على الملف النووي.
- في التوقيت الذي تفتح موسكو الباب لولادة حلف يضمّ سورية وخصومها الذين تورّطوا في الحرب عليها لسنوات عنوانه مواجهة الإرهاب.
- في التوقيت الذي يقود الرئيس الروسي وساطة بين إيران والسعودية.
- يذهب اللبنانيون الذين يعرفون ويعترفون أنّ أغلب الحلول التي ينتظرونها هي حصيلة تطورات إقليمية ودولية إلى مواجهة لن يخرج فيها منتصر.
- انتظر اللبنانيون التفاهمات الخارجية التي يأملون أن تجعل تفاهمهم ممكناً في لحظات كان كلّ شيء يقول باستحالة حدوث ذلك.
- عندما اقتربت الساعة كثيراً كان اللبنانيون قد صاروا في قلب مواجهة كسر عظم بحثاً عن منتصر ومهزوم.
- الفوضى اللبنانية أكبر من العقل.
- الأوهام بالقدرة على تجميع الأوراق تعمي البصيرة والبصر وتخلق المناخات لحروب موهومة لا جدوى من خوضها.
- كلمة عاقلة يحتاجها لبنان.

التعليق السياسي

بري ونظرة ... (تتمة ص1)

– ويختم بري كلامه لمحدّثيه بالقول، لو لم يكن هناك اتفاق مع إيران يجب إلغاء نظام العقوبات للفشل الذريع الذي أصابه والنتائج العكسية التي أدّى إليها، ولو لم يكن الانفتاح على إيران ثمرة للتفاهم معها وجبت تجربته كبديل وحيد متاح لنظام العقوبات الفاشل.

– حول المفاوضات الإيرانية مع الغرب، يستعرض بري حكاية بعد أن يسأل محدثه: هل سمعت بتاجر الآثار الأميركي وقصة الكلب والصحن، فيجيبه ضيفه بالنفي ليتسطرد بري، بعد أن يستوي في معقده، ويتحدّث بنبرة الراوي، أنه يحكى أنّ تاجر آثار أميركياً خبيراً ومحنكاً يعرف خزائن التاريخ الإيراني جيداً قصد بازار طهران متجوّلاً بحثاً عن صفقة العمر، فلمح كلباً يأكل في صحن قرب مدخل متجر سجاد فوقف متأملاً، حتى تيقن أنّ الصحن ينتمي إلى عصر تاريخي قديم، فقصد التاجر وفي باله ألا يلفت نظره لقيمة وأهمية الصحن، كي لا يطلب له ثمناً مرتفعاً، فتقدّم من التاجر سائلاً: إذا كان الكلب للبيع، فأجابه التاجر للتو بالإيجاب وبعد تبادل سريع لعروض التفاوض تمّت الصفقة بمبلغ مقبول، فحمل الخبير الكلب الذي اشتراه موحياً بالفرح وهو يداعب فروة رأسه، والتفت إلى التاجر بعد خطوتين سائلاً: هل يمكن أن لا نحرم هذا الكلب من صحنه الذي اعتاد تناول الطعام منه، فاعتذر منه التاجر الإيراني بأدب، ولما عرض عليه شراء الصحن زاد اعتذار التاجر الإيراني بنبرة جدية، ولما بدأ يعرض أسعاره ويرفع بها حتى بلغ رقماً خيالياً، قال له التاجر الإيراني: لولا هذا الصحن كيف أبيع كلّ يوم مثل هذا الكلب لأمثالك؟

– يختم بري لمحدّثه السائل، فيقول: لقد اشترى الغرب أشياء كثيرة لا يحتاجها لأنه تجنّب التفاوض على ما يحتاجه، وربحت إيران من بيع ما لا تحتاجه وهي تحتفظ بما لديها وتعرف قيمته لدى الغرب، حتى أدرك الغرب أنه لا بدّ من الدخول في التفاوض مباشرة على الصحن، ولذلك تبدو المفاوضات بقدر قساوتها وصعوبتها جدية ومفتوحة الآفاق للنجاح، فيستطرد السائل في ملف آخر في المنطقة أو لبنان، ليسمع من بري معادلة، أنه في نهاية المطاف كثير من الأزمات يمكن فهمها بتطبيق معادلة، الكلب والصحن، التفاوض يجري على عنوان والعين على عنوان آخر.

ناصر قنديل

ما يجري ... (تتمة ص1)

قبل نحو أسبوعين أبلغت التلي حلقة المساعدين الأقرب إليه بأنه يجري اتصالات مع جهات من أحرار الشام في مدينة الزبداني من أجل انتقاله إليها سراً، وبرر ذلك بأن معركة البقاء في جرود عرسال لم تعد مهمة لكون الحصار على مواقعهم سيصبح ستاتيكو طويلاً، بالتالي فان بقاءه الشخصي في تلك المنطقة ما عاد يقدم أو يؤخر للجهد العسكري الاستراتيجي للمعارضة السورية، وأنه سيكلف أحد نوابه بمهمة قيادة جماعته في جرود عرسال فيما هو سيرتب أمر انتقاله إلى الزبداني لينشئ هناك مع أحرار الشام ائتلافاً عسكرياً يحصن المدينة، على أن يصار لتعميم هذه التجربة في الغوطة الشرقية ليتم هناك إنشاء تحالف ضد غريمة زهران علوش.

ولكن تمنيات التلي لم تطابق حقل التطورات، إذ إنه تفاجأ بأن الجيش العربي السوري والمقاومة شنا هجوماً لتحريرها من المسلحين. وتقول المعلومات المسربة من جماعة التلي، إن الأخير تلقى استغاثات من داخل الزبداني لإرسال مجموعات لنجدتها عبر نقاط كانت لا تزال مفتوحة. وطالبته هذه الاستغاثات بالوفاء بوعده السابق لأحرار الشام بأنه قرر التحالف معهم في الزبداني ونقل تجربة هذا التحالف إلى الغوطة الشرقية لإنهاء حالة علوش فيها. ووعد التلي بتلبية هذه الإستغاثة، ولكن مرت أيام وهو لم يفعل ذلك. وحالياً انقطعت إمكانية الاتصال بين التلي والزبداني، وتعاظم بين حلقة مساعديه اتهامه بأنه صاحب آراء وخيارات وخطط عسكرية تصاب دائماً بالفشل. وأن خيار الزبداني جاء ليؤكد هذه الحقيقة. لكن التلي يصر على أن لديه تدبيراً لمعركة الزبداني، وجاء توعده عبر الإعلام لحزب الله في الزبداني ضمن سياق جهده للرد على منتقديه المتعاظم أعدادهم بين صفوف جماعاته في جرود عرسال، والتأكيد غير المباشر لهم بأنه يعد فعلاً للانتقام من هزائمه بوجه الحزب وأنه مصر على أن موعد الأخذ بالثأر سيكون في الزبداني.

تضيف هذه المعلومات أن التلي بات يمارس نوعاً من التقنين في تنقلاته خشية أن يتآمر عليه طامحون للحلول مكانه في منصب الأمير، وذلك عبر القيام بقتله تحت مبرر أنه المسؤول عن إلحاق الهزيمة بهم منذ القصير حتى جرود القلمون. والتلي حالياً كما تتسرب عنه المعلومات يكثر من اتهام زهران علوش بالتآمر ضده، بدعوى أن الأخير لم يحرك ساكناً لنجدته في معركة القلمون الأولى قبل نحو شهرين، على رغم أنه أكثر المتضررين من إقفال الجيش السوري والمقاومة لهذه المنطقة.

العارفون بأوضاع الجماعات الإرهابية يقولون إن الخلاف بين التلي وعلوش قائم منذ ما قبل معركة القلمون، وهو عداء موروث بينهم ويعود لوجود حساسية بين بلدة التل التي منها أبو مالك وبلدة دوما مسقط رأس علوش. فالأخيرة تعتبر نفسها جزءاً من دمشق وتنظر لبلدة التل القريبة منها على رغم أنها تقع في محافظة ثانية، نظرة فوقية. فيما الأخيرة تأخذ على دوما أنها تنسب لنفسها صفة القرب من دمشق ومجتمعها على رغم أنها ريفية في اجتماعها.

طبعاً هذه الحساسيات القديمة كان طواها الزمن بعد تعمق سياسات الدولة الوطنية في بلدات وقرى سورية. ولكن الملاحظ بحسب متابعين لأوضاع الفصائل التكفيرية في سورية، أنها أعادت إحيائها بغرض استغلالها في حروبها البينية على استقطاب بلدات وقرى وأحياء.

يوسف المصري

الفيديرالية ومخاطرها (تتمة ص1)

مع ما ينشأ عنهما من توتر وتفكك. فكم من عائلة انسحقت وهي تختلف على الإرث والنفوذ وكم من عائلة تفوّقت على التحديات عندما جدّدت روح التآخي في صفوفها. وإذا كان لبنان قد استطاع في السابق أن يلعب دوراً مميزاً في النهضة العربية وحماية لغة الضاد، فإنما بفضل وعي أبنائه وحرصهم على وحدة البلاد وعروبتها الحضارية التي ترفض التمييز بينهم. واستكمال هذا الدور اليوم لا يكون بطرح الفيديرالية وأخواتها أو التهديد بفرط الميثاق، وإنما بترسيخ وحدة البلاد وتكريس المساواة بين أبنائها ورفع الظلم عن أي مكون من مكوناتها كي نتمكن جميعاً من الحفاظ عليها وسط الزلازل المتنقلة، وكي نستطيع في الوقت نفسه إرسال رسالة واضحة إلى إخواننا العرب، المهددين بكل أنواع الأخطار، انه على رغم نهر الدم والقهر والأحزان الذي يجري هادراً على الأرض فما زالت هناك مساحات واسعة لخيارات التواصل والتماسك بوجه الاحتراب والتقسيم والاندثار. فالمهم أن يبقى اللبنانيون معاً وقت الشدة لأنّ وحدتهم هي الضمانة لحريتهم واستقلالهم، وهي الطريق للصمود والانتصار على الفتنة والغلو والعنف، في حين إن الفرقة بينهم قد تفتح أبواب الجحيم عليهم. وقد علمتنا التجارب إن النار إذا هبت لا تميز بين هذا أو ذاك، وانه يستحيل على أي فريق أن يأخذ من حصة الآخرين من دون تعريض البلاد إلى حريق يطاول الجميع، فمصيرنا مشترك وخلاصنا مشترك مهما داعبت الأوهام مخيلة بعضهم.

وتبقى العبرة الأساسية من كل ما يحدث الآن انه لا يمكن اجتراح الحلول لأزمة مصيرية بالانفصال عن بعضنا بعضاً أو من خلال خيبات الأمل وردود الفعل، وإنما من خلال الحوار والتفكير الموضوعي الهادئ الذي لا يحفل بالمراهنات ولا يقيم وزناً للمهاترات.

بشارة مرهج

الشراكة الإيجابية ... (تتمة ص1)

ليس طبيعياً أن يتمّ تهميش المسيحيين بهذه الطريقة وكأنه يُراد إخراجهم من أي دور. فهناك مناخ عام عند المسيحيين بأن بعض شركائهم في الوطن لا يريد لهم إلا أن يكونوا (أحجار دوميونز) مراهناً على أن المتغيرات في المنطقة لا تسمح للمسيحيين بأفضل مما هو عليه الوضع الحالي. وهذا أمر خطير لأن البلد قام على الشراكة الإيجابية التفاعلية التي تجعل غياب ركن من أركانه انهداماً للمبنى بأكمله، فالكل فيه أساسيون وعمداء ومن غير الجائز أن يتفلت أحد من هذه الصيغة إلا نحو الأفضل حيث تندمج كل المكونات في إطار إنساني وطني محض. وما يجب أن نكون حريصين عليه في هذه اللحظة الراهنة هو أن تصل كل المكونات إلى مستوى التوازن الوطني والتكامل الوطني ليكون الإنسان مشمولاً بالأمن والاستقرار واللحمة الوطنية ولو كانت هذه الغايات غير كاملة ولكن أفضل من الانقسام المجتمعي والسياسي الذي يولد الفوضى وينشئ الإدارات الخاصة والزعامات الخاصة والشوارع الخاصة.

هذه الطريقة في التعاطي مع المكون المسيحي مرفوضة من قبلنا، كما لا نقبل لأي مكوّن أن يكون مهمشاً وضعيفاً. لأن الضعف والتهميش سيلحقان بالوطن بأسره وسينعكسان ظلماً وصداماً واحتقاناً داخل المجتمع اللبناني.

عدم التوازن الحالي مرتبط حتماً بالاختلال العام في المنطقة والمطلوب من اللبنانيين تدشين عهد جديد من العمل التشاركي التكاملي وإعادة تعريف الدولة وأدوار الفاعلين فيها وإلا سنسير حثيثاً نحو الفوضى.

العلامة الشيخ عفيف النابلسي

فيينا تستعدّ ... (تتمة ص1)

الإيجابي في الخليج وتهيئة الأجواء لمحادثات سعودية إيرانية تبدو ضرورية لفكفكة الكثير من العقد التي تضغط على المنطقة، ناقلاً قناعة موسكو وتيقنها من وجود متغيّرات سعودية يمكن الرهان عليها. وتكاملت مساعي بوتين مع الرئيس الإيراني الشيخ حسن روحاني، وتواصل المسؤولين الروس بالقيادة السعودية، مع نتائج خلوة وزيري الخارجية الأميركي جون كيري والإيراني محمد جواد ظريف، لإنتاج البيئة المناسبة التي تكللت بالإعلان عن هدنة في اليمن، لا تتضمّن فرض أي شروط على الثوار الحوثيين مما كانت تطلبه السعودية ويعلنه حلفاؤها في سلطة منصور هادي، بينما تضمّنت بصورة واضحة نقل صلاحية التفتيش البحري والجوي من اليد السعودية إلى اليد الأممية، ما يعني عملياً بدء فك الحصار الاقتصادي عن اليمن.

في لبنان، غابت الأحداث الدولية والإقليمية الكبرى عن السمع، بعدما طغى صراخ الوزراء ورئيسهم وهم يتبادلون الاتهامات والإهانات والتهديدات، خصوصاً المساجلات الساخنة التي جرت بين وزيري التيار الوطني الحر جبران باسيل والياس بوصعب وبين رئيس الحكومة تمام سلام، بينما كان الشارع المجاور لمكان اجتماع الحكومة في السراي يضجّ بصراخ شباب التيار الوطني الحرّ ومصادمات جرت بينهم وبين القوى الأمنية تدخل الجيش لفضها.

اللافت سياسياً للمراقبين كان السيناريو المدروس الذي بادر به الوزير جبران باسيل للإمساك بناصية التحدّث في مجلس الوزراء، مذكراً باستمرار أنه يمارس دستورياً جزءاً من صلاحيات رئيس الجمهورية، بالغاً مرحلة التشويش على كلّ من يتحدّث لأنّ لا آلية لتقاسم صلاحيات رئيس الجمهورية، ولا حق لرئيس الحكومة بتولي هذه الصلاحيات ولو على مستوى رئاسة الجلسة من دون تفاهم تامّ على كلّ الآلية، وفي المقابل اكتفاء حلفاء التيار الوطني الحر في حزب الله وتيار المرده بالتحدّث عبر مداخلات هادئة لتأكيد الوقوف بصورة مبدئية ولكن حاسمة مع ما يقوله الحليف العوني. أما على الضفة الأخرى فقد كانت الدهشة من تحوّل صقور تيار المستقبل إلى حمائم تركوا رئيس حكومتهم وحيداً يتيماً يواجه سيل كلمات زميلهم باسيل وهم على صمت وبرود، حتى استنزفت المواجهة رئيس الحكومة وأصابه التعب، فتدخل وزير الداخلية نهاد المشنوق لاصطحاب سلام وباسيل والوزير محمد فنيش عن حزب الله إلى غرفة جانبية مكرّساً وفقاً لعدد من الوزراء مرجعية ثلاثية للحكومة، ولدت فيها صفقة تمرير بند وحيد في ختام الجلسة حفظاً لماء وجه رئيس الحكومة، مقابل تأجيل الاجتماع المقبل للحكومة إلى أسبوعين مقبلين لتكون الجلسة الأولى المقبلة مخصّصة لما طلبه وزراء التيار من بحث محصور بآلية عمل الحكومة في حال فراغ كرسي رئيس الجمهورية، وكيفية توزع الصلاحيات بين رئيس الحكومة والوزراء.

الصفقة أقرّت في الحكومة بالإجماع، بعدما قطعت الخلوة وجرى الانتقال إلى طاولة مجلس الوزراء إثر اقتحام وزير المالية علي حسن خليل الخلوة الثلاثية محتجاً باسم حركة أمل على تهميش مجلس الوزراء لصالح مرجعية جانبية، تستبعد قوى أساسية، لينضم إليه في الاحتجاج الوزير وائل أبو فاعور باسم الحزب التقدمي الاشتراكي، ومع نهاية الجلسة خرج باسيل إلى المتظاهرين من شباب التيار معلناً الانتصار في معركة الحكومة والصلاحيات.

شروط جديدة في إطار اللعبة السياسية

حقق رئيس تكتل التغيير والاصلاح العماد ميشال عون إنجازاً يمكن أن يُبنى عليه ويُتخذ قاعدة انطلاق للمتابعة في المرحلة المقبلة. ويبدو أنّ الجنرال عون لن يتأخر في استغلال هذا الإنجاز فهو صعّد من لهجته بعد جلسة مجلس الوزراء أمس ووضع شروطاً جديدة في إطار اللعبة السياسية في لبنان، لجهة تجديده الحلّ بإقرار قانون انتخابي عادل يؤمّن للمسيحيين تمثيلاً حقيقياً.

ويبدو أيضاً أنه لن يتراجع عن «المشروع الأرثوذكسي» الذي ظهر خلال تصريحه أنه خيار نهائي، ثم إجراء انتخابات نيابية، فانتخاب رئيس للجمهورية. واللافت في كلام الجنرال عون كان هجومه العنيف على البطريرك الماروني بشارة الراعي من دون أن يُسمّيه، سائلاً إياه: كيف يمكن أن ينتخب مجلس نواب مزوّر مغتصب للسلطة رئيساً للجمهورية، ومبدياً استغرابه من سكوت البطريرك الراعي على اغتصاب حقوق المسيحيين.

وفي المحصّلة وضع أداء وزيري التيار الوطني الحر الياس بو صعب وجبران باسيل داخل مجلس الوزراء وحركة العونيين في الشارع وكلمة العماد عون بعد ظهر أمس، خريطة طريق جديدة للعمل تتخطى التوقعات، وتغلق الباب على ما يُشاع من محاولة تسوية تخديرية.

9 تموز يوم عوني بامتياز

وبانتظار أن يتابع العماد عون بالزخم نفسه، فإنّ يوم 9 تموز تحوّل إلى يوم عوني بامتياز. وأكد عون أن التيار حقق ما يريده في هذه الجلسة، معتبراً انه يوم تاريخي في مجلس الوزراء وفي الشارع.

وشدّد عون في مؤتمر صحافي على «أن لا أميركا ولا روسيا ولا غيرهما قادرة على إزاحته شعرة عن موقفه. وسأل: «لماذا استعمال القوة»؟ مذكراً من أصدر بيانات لتبرير الاعتداء على الشباب بأنّ الوثيقة التي تصدر عن اليرزة يجب أن تكون تاريخية لا تشوبها شائبة ولا يعتريها كذب».

سلام لباسيل: أنت بلا أدب

وإذا كانت الحكومة لم تسقط أمس لأنّ جميع مكوّناتها لا يريدون لها ذلك، فإنّ الجلسة شهدت مشادة حامية بين رئيس الحكومة تمام سلام ووزير الخارجية جبران باسيل التقطها المصوّرون الصحافيون لحظة وجود الكاميرات في القاعة، وبدت كأنها إشارة من الوزير باسيل لتحرك التيار نحو السراي الحكومية.

وتوجّه باسيل إلى سلام بالقول: «خالفت الدستور وتعدّيت على صلاحيات رئيس الجمهورية». عندها ردّ رئيس الحكومة قائلاً: «إذا لم يعجبك النقاش تصرّف وفق ما تريد»، وسادت القاعة أجواء متوترة مصحوبة بصوت عال وبلغة «شوارع» إذ قال باسيل: «أنا رئيس الجمهورية هون»، في إشارة منه إلى أنّ صلاحيات رئيس الجمهورية مناطة بمجلس الوزراء، عندها ردّ سلام على باسيل قائلاً: أنت واحد وقح وبلا تهذيب وبلا أدب، لن أقبل التعامل بالغوغائية، للناس كرامات وإن كنت تتكلم بالنيابة عن رئيس الجمهورية فإنّ الرئيس لا يخاطب أحداً بهذا الأسلوب».

وتابع: «في حال أراد فريق أن يتخذ موقفاً منسجماً مع مواقفه فليعطل نفسه بدلاً من تعطيل مجلس الوزراء»، واعتبر سلام «أنّ التعيينات هي من صلاحيات الوزراء المعنيين، ولا يجوز لوزير أن يتعدّى على صلاحيات وزير آخر، وأنّ الأساس هو تسيير شؤون المواطنين».

اجتماع رباعي

واستمرّت الجلسة على وتيرة الكلام العالي النبرة قبل أن يبادر وزير الداخلية نهاد المشنوق إلى اجتماع جانبي ضمّ سلام والوزيرين محمد فنيش وباسيل تمّ فيه الاتفاق على تمرير بند التعاقد مع المستشفيات من ضمن جدول الأعمال، مقابل وعد حصل عليه باسيل وفنيش من الرئيس سلام بمناقشة آلية عمل الحكومة في أول جلسة بعد العيد. وأعرب رئيس الحكومة عن حرصه وحرص مجلس الوزراء على استيعاب ما جرى وتمسكه بأنّ الخلافات السياسية لا يمكن أن تُحلّ في مجلس الوزراء».

وأثناء هذا الاجتماع اعترضهم الوزير علي حسن خليل الذي تلقى اتصالاً من رئيس مجلس النواب نبيه بري رافضاً الاتفاقيات الجانبية. وعلمت «البناء» أنّ حزب الكتائب وحركة أمل والاشتراكي أبدوا امتعاضهم من اللقاء الوزاري الذي حصل.

ورفض فنيش في حديث لـ«البناء» «إطلاق اسم مجلس وزراء مصغر على اللقاء»، مشيراً إلى «أنّ الاجتماع لم يتجاوز أحداً، فهو جمع أطراف الخلاف، لإيجاد حل للأزمة الحكومية».

وأكدت مصادر مطلعة لـ«البناء» «أنّ ما جرى في جلسة مجلس الوزراء يعتبر خسارة كبرى للرئيس سلام، فهو خسر في ساعة واحدة ما حققه على نحو سنة على مستوى أدائه وحكمته». وأكدت المصادر «أن اللقاء الجانبي كان بمثابة إنقاذ، فلو انفضّت جلسة مجلس الوزراء من دون هذا اللقاء لكانت الأمور زادت تعقيداً».

توريط سلام

واعتبرت أوساط رئيس الحكومة لـ«البناء» أنّ الرئيس سلام «يشعر بأنه تمّ توريطه بالدعوة إلى الجلسة من أطراف تخلت عنه داخل الجلسة، وكأنّ ذلك خطة مقصودة».

وفي السياق، علمت «البناء» «أنّ وزير التربية أشار خلال الجلسة إلى «أنّ كلام وزير الخارجية في قصر بسترس كان كلاماً في السياسة، وهذا ما عاد باسيل وأكد عليه. ودعا وزير الثقافة ريمون عريجي إلى المزيد من الوقت للاتصالات السياسية وإعادة النظر في آلية عمل الحكومة. وتمنى الوزير حسين الحاج حسن عدم الشروع في جدول الأعمال وإعطاء فرصة للمعالجات السياسية. أما وزير الصحة وائل أبو فاعور فعبّر عن تضامنه مع سلام، مسجلاً اعتراضه على الطريقة التي خاطب بها باسيل الرئيس سلام».

وأكد وزير العمل سجعان قزي لـ«البناء» أنّ ما شهدته الجلسة أمر غير طبيعي، لم يشهد مثله مجلس الوزراء سابقاً»، مشيراً إلى «أنّ الشارع انتقل إلى المجلس، فنوعية التلاسن كانت تلاسناً شارعياً».

وأشار وزير الإعلام رمزي جريج لـ«البناء» إلى أن «النقاش طال مدة ساعتين حول مقاربة النهج المعتمد لعمل مجلس الوزراء، وكيف يمارس المجلس صلاحياته وكانت وجهات النظر مختلفة حول هذه المقاربة، فسلام لديه مقاربة وفريق آخر لديه مقاربته».

وأضاف: «طرح بعض الوزراء تطبيق الآلية الملحوظة بالمادة 65 من الدستور، أي اللجوء إلى التصويت بالنصف زائداً واحداً أو بالثلثين بحسب المواضيع كما ينص عليها الدستور إذا لم يتمّ التوافق، أما فريق آخر فطرح أنّ مجلس الوزراء مجتمعاً يأخذ صلاحيات رئيس الجمهورية ويمارسها ولا يمكن تطبيق المادة 65 بحال عدم وجود توافق، لكن سلام اعترض حيث لا يجوز لكلّ وزير أن يعطل قراراً لوزير آخر أو أن يعطل قراراً لمجلس الوزراء وأنه مستعدّ أن يسير بالتوافق شرط أن لا يؤدّي إلى التعطيل».

وأوضح أنّ «نقاش هذه الآلية أخذ وقتاً طويلاً تخللته مداخلات لعدد كبير من الوزراء وحصلت مشاورات جانبية وانتهى الأمر بالاتفاق على عقدّ جلسة بعد 15 يوماً من عيد الفطر ويكون الجزء الأول منها مخصّصاً لبحث آلية عمل الحكومة قبل الشروع في بحث جدول الأعمال».

وأكد وزير الشباب والرياضة عبد المطلب حناوي لـ« البناء» «أنّ ما جرى معيب بحق لبنان ومجلس الوزراء، داعياً وزراء التيار الوطني الحر إلى العودة للحوار، والابتعاد عن التعطيل».

وأبدى أسفه لتصرفات مناصري العماد عون، مشيراً إلى «أنهم كانوا يحملون الأعلام واليافطات بقساطل المياه، وكانوا ينوون التعدي على الجيش بها، وهذا أمر مؤسف وغير مقبول، فاليد التي ستمتدّ على الجيش يجب أن تقطع قبل ذلك».

استمرار التحركات رهن تصرّف سلام

وعلى وقع السجال الذي دار في مستهلّ الجلسة بين سلام وباسيل، بدأ مناصرو التيار الوطني الحر الذين تجمّعوا قرب مبنى ميرنا الشالوحي في سن الفيل الزحف إلى وسط بيروت في مواكب سيارة واحتشدوا أمام السراي الحكومية، وعلى الفور تحركت القوى الأمنية وأقفلت جميع المداخل المؤدّية إلى السراي، وعندما حاول مناصرو التيار التوجه سيراً وقعت مواجهات مع القوى الأمنية وتمّ التعرّض للنواب حكمت ديب وآلان عون ولعدد من شباب التيار وقد أصيب رئيس قطاع الشباب في التيار أنطوان سعيد والمهندس فادي حنا (الذي أصيب بجروح بالغة في رأسه نقل على أثرها إلى المستشفى) والناشط طوني أوريان والعديد من المشاركين.

كما أقدم مناصرو التيار على قطع المسلك الشرقي من اوتوستراد البترون – طرابلس عند جسر مستشفى الدكتور اميل البيطار في البترون.

وأكدت مصادر التيار الوطني الحر لـ«البناء» أنّ «برنامج عمل التحرك مؤلف من مراحل وتمّ تنفيذه على مرحلتين، وأكد أنّ التحركات في الأيام المقبلة مرهون بتصرف رئيس الحكومة تمام سلام وبالحكومة».

وأشارت إلى أنّ «التيار حصل على ما يريد في جلسة الأمس، أيّ إقرار مجلس الوزراء بحث آلية عمل الحكومة في أول جلسة بعد عيد الفطر، والثاني رفع الجلسة من دون بحث بقية بنود جدول الأعمال باستثناء تمرير بند واحد وهو المتعلق بتوفير الاعتمادات للمستشفيات وهذا يعتبر أمراً ملحاً وضرورياً لأن تأخيره سيهدّد بعدم استقبال المستشفيات للمرضى».

وأضافت: «انتزعنا من الحكومة البحث في آلية العمل وعدم التعدّي على صلاحيات رئيس الجمهورية، لأنّ رئيس الحكومة ليس رئيس جمهورية بل ي